

## عاصفة في الشرق الأقصى

مول هوارت الصين أو همبره

بقلم باحث دبلوماسي كبير

بينما تواجه أوروبا أزماتها الخاصة ، في اسبانيا وفي حوض البحر الأبيض بنوع خاص ، وتنظر إلى تطوراتها بحيرة يمازجها الجزع ، إذا يحدث خطير يقع فجأة في الشرق الأقصى ويشير في الصين فتنة جديدة كادت تسفر عن أخطر العواقب لو لم تخمد في مهدها . وقد غدت هذه الفورات المفاجئية ظاهرة الحوادث في الصين ، وأضحى من الصعب أن نقف على بواعثها وغاياتها دون الرجوع إلى مثيلاتها من الحوادث والمفاجآت التي توالى في الصين في عشرة الأعوام الأخيرة ، واستعراض الأوضاع السياسية الفريدة التي تميزت في ظلها تلك الأباطورية الشاسعة وملخص الحادث المسرحي الجديد الذي كاد يثير ضرام الحرب الأهلية في الصين كرة أخرى ، هو أن المارشال تشانج

ودفع إلى الخادم ثمن الطعام وخرجنا

ولم نقل للرجل المنتفخ الأوداج شيئاً فلم نعرف أنه - أم ليس له - سر يشتري كتابه . .

\*\*\*

وقلت لصاحبي وأنا أودعه « على نكرة . . من قبيل الاحتياط للمستقبل . . من يدري ؟ »

قال : « نعم . . »

قلت : « ما هو الجواب الصحيح . . أمام اللجنة ؟ »

قال : « آه ! . . انفق ما في الجيب بأهلك ما في النيب »

قلت : « أهو ذاك ؟ . أما ما في الجيب فإست أحتاج في أمر إنفاقه إلى التكلف . . وأما ما في النيب فهل تعرفه يأتي يا صاحبي ؟ »

فأشار لي بيده ومضى عني وهو يضحك

ابراهيم عبد القادر المازني

هسويه ليانج الذي يربط بقواته في سيانفو عاصمة إقليم شنشي ، قد در كيناً للقبض على المارشال تشانج كايشك رئيس حكومة نانكين الوطنية ، والقائد العام للجيش الصيني بينما كان يستشفى قريباً من سيانفو ، واعتقله مع بعض حاشيته ؛ ثم أذاع أنه يرى بذلك إلى حل الحكومة الوطنية الحاضرة التي تمادت في خضوعها لليابان ، وتأليف حكومة جديدة تعلن الحرب على اليابان ، وتعمل على استرداد الأقاليم التي انتزعتها اليابان من الصين وفي مقدمتها إقليم منشوريا ؛ وقد أخطر المارشال التائر أسيره بهذه المطالب ، وأخطر بها حكومة نانكين ، فرفض الرئيس المعتقل ورفضت الحكومة أن تبحث في شأنها قبل الافراج عن الرئيس ، وإعادة الأمور إلى نصابها ؛ وقد حاولت حكومة نانكين أن تصل بطريق المفاوضات والتفاهم إلى تسوية مؤقتة يفرج معها عن المارشال المعتقل ، فأبى الزعيم التائر ؛ واضطرت الحكومة أن تجرد عليه بعض قواتها ؛ وقد زحفت القوات الحكومية فعلاً صوب سيانفو ، وبدأت المعارك الأولى بين الفريقين ونحن نكتب هذه السطور

فن هو هذا الزعيم التائر تشانج هسويه ليانج ؟ وما هي بواعث خركته ؟ إن المارشال تشانج هسويه ليانج هو ولد المارشال تشانج تسولين زعيم منشوريا السابق الذي قتل غيلة في حادث قطار دست له القنابل سنة ١٩٣٠ ؛ وكان تشانج تسولين مدى أعوام طويلة حاكماً بأمره في منشوريا قبل أن تنزعه اليابان ؛ وكان يعمل بالاتفاق مع السياسة اليابانية ، فلما قتل خلفه ولده في حكم الاقليم ، ولكنه اختلف مع السياسة اليابانية ، وكانت حكومة نانكين الوطنية قد قامت يومئذ باسم الصين المتحدة كلها ، فأعلن تشانج هسويه ليانج انضمامه إليها ؛ ورأت اليابان الفرصة سانحة لتنفيذ مشروعها الاستثماري في الصين ، فاحتجت بوقوع بعض حوادث اعتداء على الرعايا اليابانيين ، وغزت منشوريا في سنة ١٩٣١ ، واضطر الجنرال تشانج هسويه ليانج إلى الانسحاب بقواته دون مقاومة تذكر ؛ وعسكر مدى حين في إقليم جيهول في جنوب منشوريا ؛ ولما أتمت اليابان غزو منشوريا واحتلالها ، دفعت قواتها إلى جيهول ، فارتد أمامها المارشال المهزم بقواته ؛ واحتلت اليابان أيضاً هذا الاقليم في سنة ١٩٣٣ ؛ وعسكر تشانج

هسويه لياحج من ذلك الحين بدأ في بعض أنحاء إقليم شنهي . وفي سنة ١٩٣٥ ، انتدبه حاكمه نانكين ، أو بعبارة أخرى انتدبه الماريشال تشانج كايشك لمحاربة القوات الشيوعية التي تقدمت جنوباً واحتلت ولاية سنشوان المجاورة لشنهي ؛ ولكنه بدلاً من أن يقوم بهذه المهمة فضل التفاهم مع الشيوعيين ، واتخذ من ذلك الحين موقفه اللبيب من حكومة نانكين

ويجب أن نذكر كلمة عن الشيوعية في الصين ؛ ففي الصين الآن حزب شيوعي كبير يسيطر على قوات عسكرية كبيرة بقيادة زعيم الشيوعية الصينية ماوتسي دون ؛ وقد كانت الشيوعية من قبل عضد الحركة الوطنية ، ومنذ سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٢٧ ، وهي فترة الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب ، تعمل الحركة الوطنية بماوتسي دون الشيوعية ، ويندمج الحزب الشيوعي في الحزب الوطني الصيني ( الكومن تانج ) وتستمد الحركة الوطنية كثيراً من القوة والتنظيم من روسيا البلشفية ودعاتها في الصين . ولكن الماريشال تشانج كايشك بعد أن تم له الظفر على قوات الشمال في سنة ١٩٢٧ ، واستطاع أن يقيم حكومة نانكين الوطنية رأى أن يضع حداً للتعاون مع الشيوعية ، وقضى على عناصرها من ( الكومن تانج ) ومن الحكومة والجيش ، وبدأت الخصومة من ذلك الحين بين حكومة نانكين وبين الشيوعية ؛ ومنذ عدة أعوام تعمل قوات الحكومة لمطاردة قوات الشيوعية ومحاصرتها في الأقاليم الوسطى التي تسيطر عليها ولكنهم لم تستطع حتى الآن أن تقضي عليها

وفي تلك الفترة استطاعت اليابان أن تنزع منشوريا وجيمول وبعض الأقاليم الأخرى من الصين ، وهنا حدث تطور واضح في سياستها الاستعمارية في الصين ؛ وهنا حدث تطور واضح في سير الحركة الوطنية ، فقد رأى كثير من الزعماء والمستنيرين أن استمرار الحرب الأهلية على هذا النحو يقوى نفوذ اليابان ويفتح أمامها أبواب الصين ، وأنه من الحكمة والضرورة أن تتضافر القوى المشتتة لمقاومة الاعتداء الأجنبي ؛ ولوحظ أيضاً أن الماريشال تشانج كايشك رئيس الحكومة الوطنية يتبع إزاء الغزو الياباني سياسة الضعف والتسليم ، وأنه لم ينفك عن التهرج بأنه يريد التفاهم والاتفاق مع اليابان ، ولكن على أي الأسس ؟

إن اليابان تسير مسرعة في تنفيذ برنامجها الاستعماري ، وما زالت تنهز كل فرصة للتوغل في قلب الصين واحتلال أراضيها . ورد زعماء ( الكومن تانج ) على ذلك بأن الحكومة الوطنية مرغمة على اتخاذ هذا الموقف ، وأن الصين لا تستطيع في ظروفها الحاضرة أن تقف أمام الغزو الياباني ، وأنه يحسن التفاهم مع العدو المفير حتى تقوى الصين نفسها وتستطيع أن تقاوم الاعتداء بصورة فعلية ؛ وقد اضطر تشانج كايشك نفسه أمام هذا التيار الجديد أن يؤكد في تصريحاته الرسمية أمام مؤتمر اللجنة التنفيذية للحزب الوطني ( الكومن تانج ) في الصيف الماضي أن الحكومة المركزية لن تتنازل قط عن التمسك بوحدة الصين وسلامة أراضيها ولن تقعد أية معاهدة تحالف هذا المبدأ ، ولن تنزل عند أي رغبة أو وعيد بارغانم على إقرار الحسالة في منشوكيو ( منشوريا ) أو أية حالة أخرى من حالات الاعتداء على الأراضي الصينية

وقد رأى الماريشال تشانج هسويه لياحج أن ينهز فرصة هذا التطور لينزل إلى الميدان ، والظاهر أنه يريد أن يحاول استغلال الشعور القوي الذي أثاره اعتداء اليابان التكرور على الصين ، وأن يجعل من مطالبته حكومة نانكين بأن تمنح الحرب على اليابان شعاراً قومياً ياتف حوله المعارضون لسياسة الحكومة الوطنية . بيد أن تشانج هسويه لياحج شخصية ثابته في الواقع ، وهو لا يشغل بين زعماء الصين أو قادتها مركزاً خطيراً يمكنه من تزعم مثل هذه الحركة الخطيرة ؛ ومن جهة أخرى فإن الأساليب التي لجأ إليها في اعتقال رئيس الحكومة وقائد الجيش الأعلى ومماونيه ، ليست مما يشهد له بالفطنة والكياسة ، وليست مما يماون على التمهيد الحسن لشاريمه . وتقدر قوات الزعيم الثائر بنحو مائة وخمسين ألف جندي ، وهي قوة ضئيلة بالنسبة للوحدات العسكرية الصينية ، وبالنسبة لقوات الحكومة المركزية التي تقدر بنحو مليونين ؛ وإذا كانت الحوادث لم تسفر حتى كتابة هذه السطور عن حل حاسم للمشكلة فإنه لا ريب أن حكومة نانكين لن تنزل عند وعيده ، ولن تتخلي عن محاربه حتى يلقى سلاحه

هذا من الناحية الداخلية ، بيد أن للسألة ناحية خارجية

وهولنده ، بهما كبح التوغل الياباني ومقاومته ، لأنه يزداد كل يوم خطراً على أملاكها ومصالحها ؛ والسياسة البريطانية تميل بلا ريب إلى تأييد كل حركة تؤدي إلى تحقيق هذه الغاية ؛ بيد أنها لا تميل في نفس الوقت إلى نهوض الشيوعية وتقديمها في الصين ، لأنها تعتبرها خطراً عظيماً على أملاكها ونفوذها ؛ وهي الآن في موقف انتظار وتربث واستعداد للطوارئ ؛ وأما أمريكا فهي تسير في ذلك على سياسة مستقلة ، وكل ما يهمها هو الاحتفاظ بنفوذها وسيادتها في المحيط الهادئ ، وهي تمتدق أنها تستطيع تحقيق هذه الغاية بالتفاهم مع اليابان وعقد اتفاق يصون مصالح الفريقين

هذا وقد صح ما توقعناه من أن حكومة نانكين لن تخضع لوعيد الزعيم الثائر ، وإن الثورة لن يرحى لها النجاح المنشود ؛ فقد وردت الأنباء الأخيرة بأن المارشال تشانج هسويه ليانج قد أذعن للأذكار الذي وجهته إليه الحكومة المركزية ، واستمع لنصح زملائه حكام الولايات المجاورة ، وأفرج عن المارشال تشانج كايشك ؛ وقد عاد المارشال إلى نانكين عود الظاهر في مظاهرات حماسية ، واعتذر الزعيم الثائر عن فعلته ؛ ولم تعرف شروط التسوية بعد ؛ ولكن الظاهر أن تشانج هسويه ليانج سيغادر الصين مدى حين ، وأن الحكومة ستمنحه معاشاً حسناً ، وأنه تمهد بعدم التدخل في الشؤون العامة العسكرية أو السياسية على أنه يبقى لنا أن نتساءل ، هل انتهت الفتنة وأخذت نهائياً ، أم أنه يخشى أن تكون بذورها قد تمكنت في القوات المتمردة ، وإن الشيوعية المحلية لا تزال تنفيذها ؟ هذا ما لا يتضح الآن ؛ بيد أنه يمكن القول أن حكومة نانكين ستنتشط إلى محاربة الشيوعية والقضاء عليها ، لأنها تخشى منها على نفوذها واستقرارها . ولا ريب أيضاً أن الحكومة الوطنية ستعنى بأمر هذا التطور العميق في شعور الشعب الصيني وأجابه إلى وجوب الوقوف في وجه اليابان ووضع حد لمطامعها ؛ وربما اضطر المارشال تشانج كايشك غير بعيد إلى أن يتخذ سياسة أشد حزمًا إزاء المطامع اليابانية ، وإذا وجد في مثل هذا الشعور ما يكفي لتوحيد الصفوف ، وشد أزر السياسة الوطنية المتطرفة التي يجب اتباعها يومئذ وتدعيمها بقوة السلاح إذا اقتضى الأمر (\*\*\*)

في متعوى الخطورة . فنحن نعرف أن الصين ميدان للتنافس الخطر بين اليابان وروسيا ، وأن اليابان تسيطر على منشوريا ، كما تسيطر روسيا على منغوليا الخارجية ، وأن هوامل الاحتكاك بينهما لا تنتهي ، وخصوصاً اليابان وروسيا خصوصاً طبيعة وتاريخية معاً ؛ وكلتاها تخشى الأخرى وترقب مساعدها في الصين بنتهي الغيرة واليقظة ؛ وقد ذهبت اليابان في توغها في الصين إلى حد يثير مخاوف روسيا ويحملها على مضاعفة جهودها لصون أملاكها ومصالحها في الشرق الأقصى ؛ ومن جهة أخرى فقد عقدت اليابان أخيراً تحالفاً مع ألمانيا ضد الشيوعية أو بمباراة أخرى ضد روسيا ، ومن المرجح أن هذا التحالف الذي يقوم في الظاهر على هذا الأساس ، يتضمن تحالفاً عسكرياً بين الدولتين ، وأن غايته الحقيقية هي حصر روسيا بين تارين : نار اليابان من الشرق ، ونار ألمانيا من الغرب إذا ما وقعت حرب عالمية . ذلك أن ألمانيا الهتلرية تعتبر روسيا البلشفية عدوتها الميته ، وتسمى لتعطيمها وسحقها بكل ما وسعت وتمتدق أن تعاونها مع اليابان على هذه الصورة يكون رداً بليماً على الميثاق الروسي الفرنسي الذي اعتقدت أنه موجه ضدها ، وأنه خطر دائم على سلامتها ؛ والظاهر أن حوادث الصين الأخيرة لم تكن بعيدة عن آثار الميثاق الياباني الألماني ، وأنه يمكن أن نلحس فيها أثر الأصبغ روسيا ، وأن المارشال تشانج هسويه ليانج كان يعول في ثورته على معاونة روسيا الخفية إذا ما ساعدته الحوادث على تنفيذ برنامجه ، وأن روسيا ترى في اضطراب هذه الثورة على حكومة نانكين وضد النفوذ الياباني ، ما يمكن أن يكون رداً من جانبها على الميثاق الياباني الألماني ؛ بيد أن روسيا لم تخرج عن تحفظها إزاء هذه الأزمة ولم يبد منها ما يدل على أنها تتصل بها أو تعلق عليها أهمية خاصة ، هذا في حين أن اليابان قد أبدت استعدادها وتحفزها للتدخل إذا ما تطورت الحوادث تطوراً يمكن أن يهدد نفوذها أو مصالحها

ثم هنالك الدول الغربية وعلى رأسها إنككترا ، وهي تعلق أهمية خاصة على سير الحوادث في الشرق الأقصى ؛ وهنالك أمريكا ، وهي تخشى ازدياد النفوذ الياباني في الصين وفي المحيط الهادئ . ومن الواضح أن بريطانيا العظمى ، والدول الأخرى التي تسيطر على أملاك عظيمة في الشرق الأقصى مثل فرنسا